مقدمة

لهذا الكتاب قصة : مثل جميع كتبى ..فلهذا الكتاب قصة .

قصة من الواقع.. فلقد آمنت أن التربية الصحيحة القائمة على أساس المنهج الإسلامى ، المستمد من الأصول، المستفيد من غيره دون الإخلال بأصوله ، هى التى تبنى الإنسان العامل ، الذي يبني نفسه من خلال تغييرها، ويبني المجتمع من خلال تغييره، ويعبر الحاضر إلى المستقبل، ويعيد للأمة إشراقها وتأثيرها الإنساني في العالم ،ولقد لاحظت أن محاضننا التربوية لم تؤد دورها بشكل جيد، فلربما مكث الشاب المسلم دهراً يتقلب في هذه المحاضن، دون أن يكتسب العلم الواجب ، والعمل الصالح ، والخلق القويم.. المطلوب لبناء شخصية الفرد المسلم .

وتساءلت عن السبب، ورحت أبحث وأدقق ، أشهر الصيف فى أكثر السنوات أقضيها في ربوع استانبول ، وكانت تتواجد ثلة من أهل العلم والفضل والنظر من أمثال شيخنا الجليل عبد الفتاح أبو غدة (رحمه الله)، وشيخنا الجليل محمد قطب، وأستاذنا الشيخ أحمد الكبيسي أستاذ الشريعة في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، وشيخنا أمين سراج، وشيخنا مفسر القرآن الصابوني وغيرهم كثير ، كنت أطرح معهم تساؤلاتى ، وأسمع منهم ، وأحاورهم ، ولقد وافقني معظم هؤلاء أن هذا الموضوع التربوى لم يأخذ حظه من الدرس والكتابة.. وأن موضوعاته مبثوثة في ثنايا الكتب.. وأنها تحتاج إلى تجميع.

وإذا كنت أقل هؤلاء علما.. فإني إنسان طموح أشعر بالراحة عندما أقتحم الصعاب كما ذكر الشاعر الكبير أبو تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعـــب

بـدأت بدراسة السيرة من كل المراجـع التي وقعـت تحت يدي، ودرست حياة الصحابة،ودققت في المواقف التي تلقوا فيها توجيهات النبي ﷺ فاستقامت معها فطرتهم، وحسنت أخلاقهم ،وأصبحوا عظماء هداة مهديين .

وعندما اكتملت الصورة لدى ، كتبت ما توصلت إليه، لا أدري إذا كنت وفّيتُ الموضوع حقه ، فهذا من حق القارئ أن يقوله .

وابتداءً أقول : إذا وُفقت لشيء مفيد فمن الله ثم من توجيهات إخوانى ،وإذا أخطأت فلم يكن عن قصد منى ، ولا يفوتني أن أشكر من سددنى بكلمة.. فقد أعطيت مسودة الكتاب للكثيرين واستمعت لآرائهم.

كما أشكر أخي الدكتور أمين القضاة الذي تكلف جهد تخريج أحاديث الكتاب ، فهو رجل اختصاص في هذا الموضوع .

والله أسأل أن ينفع الأمة وشبابها بهذا الكتاب ، وأن ينفعني به كعمل صالح أتقرب به إلى الله .

حسبي أني حاولت وما التوفيق إلا من عند الله، والحمد لله رب العالمين .

الكويت فى **المؤلف**

١٣ / ٣/ ١٤٢٣هـ

٢٥/ ٥/ ٢٠٠٢م

obeikandl.com

دور التربية في تشكيل السلوك

من نافلة القول أن نتحدث عن أهمية التربية . فلا يارى أحد في أن التربية موضوع عظيم الشأن بالغ الأثر، وأنها أساس كل تقدم وإصلاح ، وعنوان كل تغيير ونهضة، والطريق الموصل إلى تهذيب النفوس وتثقيف العقول وبناء الأمم .

والمنهج التربوي الإسلامي هو الذي أوجد هذه الأمة : انتفضت من تراب الأرض فوصلت إلى علياء السماء، فإذا هي أمة صلبة متماسكة لا مثيل لها، تفتح وتعمّر وتبني وتقيم مُثلا أخلاقية وإنسانية غير معهودة، وتنتشر في سنوات قليلة في رقاع الأرض، تنشر النور والهدى والصلاح .

ومرت الأمة المسلمة خلال مسيرتها الطويلة، بفترات قوة ومراحل ضعف.. وهي في كل مرة كانت تنتفض فيها نحو العلاء ، فكانت تأخذ بأسباب التربية السليمة التي تحوّل الأمة إلى قدرة عطاء متميز وتعيد الأمور إلى نصابها.

* وللتربية الإسلامية دور رئيس في تطبيق النظام الإسلامي ، فلن يكتب النجاح لمثل هذا النظام ما لم يعدّ له الجيل الذي سيطبقه . فليس من المعقول أن يطبق الأفراد النظام المفروض عليهم، إن لم يؤمنوا به ويعتقدوا فيه عن اقتناع وبصيرة. ومن هنا ندرك سر التربية الإسلامية التي بدأها الرسول ﷺ بتكوين العقيدة قبل نزول الأحكام الشرعية التفصيلية.

وفي ضوء هذه الحكمة التربوية كون الرسول ﷺ رجالا عظاما تكونت منهم أمة قوية استطاعت أن تطبق النظام الإسلامي بأنصع وجوهه. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ

فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ (١).

* وعليه فكل نهضة إسلامية أو نظام إسلامي أو نصر مؤزر في معركة.. يحتاج إلى جيل مسلم أُعدّ إعدادا تربويا خاصا، على المبادئ ذاتها التي قررها رب العزة وبيّنها كتابه الكريم.. وطبقها رسوله الأمين ﷺ.. وتعلمها بالتوجيه والقدوة الجيل الإسلامي الأول.. الذي مثله وعبر عنه بكلمات بليغة الصحابي الجليل ربعي بن عامر ﷺ .. حين سأله رستم قائد الفرس: ماذا جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

ولن تكون صحوة ، ولن يكون نصر ، ولن تكون دولة مسلمة ، بدون جيل تربّى على مبادئ الإسلام يقوم بذلك.

* لقد سبق النصرَ العسكرى الذي حققه القائد المظفر صلاح الدين الأيوبى على القوى الصليبية الغازية ، نصرٌ تربويٌ أنشأه العالمان الجليلان أبو حامد الغزالي وعبـد القادر الجيـلاني ، فأثمر جيـلا عظيما أفرز قيادة عظيمة حققت النصر المؤزر .

* ويوم كان الجيش العثماني يحاصر فيينا كان في أوج عظمته العسكرية، وكانت الأمة في أدنى درجاتها تربويا،فانهزم الجيش وبدأت الدولة العثمانية تستعير مبادئ أوروبا الأخلاقية والتربوية على حساب أصالتها ومبادئها فكانت بداية نهايتها.

* الحركة الإسلامية الحديثة التي قامت في أصقاع عديدة من العالم الإسلامي: في مصر على يد الرجل الرباني حسن البنا، وفي شبه القارة الهندية على يد الرجل الرباني أبو الأعلى المودودي ، وفي تركيا على يد الرجل العظيم نجم الدين أربكان ، وفي أماكن أخرى على أيدي علماء أجلاء ، استطاعت عن طريق التربية الإسلامية

---

(١) الفتح .

obeikandl.com

أن تعيد للمسلم ثقته بدينه وبنفسه، بعد أن حاولت قوى الغزو الغربي أن تحطم هذه الثقة، وأن تعُبّده لدين جديد خلاصة تعاليمه: أن الدين علاقة خاصة تهمّ الفرد وحده، أما سبيل التقدم ففي اتباع طريق الغرب العلماني الذي لم يستطع أن ينتصر في معركة الحياة إلا عندما انتصر في معركته مع الدين.

وتكالبت قوى الغرب المعتدية على القوى الإسلامية الحية في الأمة تكيل لها الضربات مباشرة أو بواسطة الحكام الذين أصبحوا جزءا من الفكر والأداء الغربى ،واستطاعت هذه القوى إلى حد ما أن تسدد ضربات مؤلمة لهذه الحركات ، وأن تشوه مصطلحاتها الحركية، فأصبح الجهاد نوعا من الإرهاب، وأصبح الحكم الإسلامى رجعية لا تليق بالإنسان المتحضر.

نادت في البداية بالديمقراطية حتى إذ تأكدت أن الحركة الإسلامية هي التي تكسب في هذه المعركة تراجعت عنها، وأغمضت عينيها عن إرهاب الحكام وديكتاتوريتهم وتعسفهم ما داموا يؤدون خدمة للقوى الغربية بحربهم للحركة الإسلامية .

* بعد نظرية صاموئيل هنتنغتون حول صراع الحضارات وتبني اللوبي اليهودي لهذه النظرية.. وتحريكه مؤسسات الغرب الحاكمة في هذا الاتجاه ، أصبح الإسلام كدين مستهدفا ، والمسلمون - وفي طليعتهم - الحركات الإسلامية هم العدو الذي تحاول قوى الغرب القضاء عليه ، عندما سئلت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا عن أهمية بقاء الحلف الأطلنطي بعد انهيار حلف وارسو ، قالت بكل وضوح: إن الخطر الإسلامي الذي يفوق بمراحل الخطر الشيوعي، ما زال قائما، الأمر الذي يستدعي بقاء الحلف الأطلنطي.

والخطر الإسلامى الذي يشيرون إليه ليس هو البشر الذين يسكنون في منطقة معينة من الأرض،إنما هو الإسلام المتمثل في التربية الإسلامية التي تعطي المسلم قدراته المتميزة وتحوله من عامل خمول إلى حركة،ومن عامل استكانة إلى عطاء،ومن دائرة ردود الفعل إلى الفعل المنهجي القائم على الأساس الأخلاقي والإنساني المتميز.

من هذا المنطلق أغمد الغرب سيفه الذي طالما أعمله في رقاب ودماء المسلمين، وبدأ يسل سيفا من نوع جديد .

فما هو هذا السيف الجديد؟

* ذكر المبشر صاموئيل زويمر في كتابه (العالم الإسلامي اليوم): إنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتى آسيا وإفريقيا الواسعتين وبث في مئات الملايين من البشر عقائده وشرائعه، وأحكم ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كسلسة جبال تناطح السحاب .

* أما المستشرق الإنكليزي (جيب) فيقول في كتابه (أين يسير الإسلام) : إن مشكلة الإسلام بالقياس إلى الأوروبيين هي ما لهذا الدين من السيطرة على المسلمين في كل تصرفاتهم ، ما يجعل لهم مكانا بارزا في أي تخطيط لاتجاهات العالم الإسلامى[1].

* ويزيد وليم جيفورد الأمر وضوحا، فيقول: متى توارى القرآن ومكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل حضارتنا التي لم تبعده عنها إلا تعاليم محمد وكتابه[2] .

إنه سيف: التعليم والتطبيب والتمريض، والتسلل الخفي إلى ميدان الصحافة والإعلام، والفتن والحروب، والدعوات الإقليمية . والتي يمكن جمعها كلها في كلمة واحدة هي: محاربة الإسلام ومنهجه التربوى .

ولكن هل أفلح الغرب في ذلك؟

يقول زويمر[3] : التعليم المدرسي والتربية الأخلاقية الغربية قد أسفرا عن نتائج جمة، وأثمرا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين المسلمين على السواء.

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي أ . ل . شاتليه ، ترجمة : مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب .

(٣) مهد الإسلام: زويمر.

ويقول كرومر: لو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، فليس من اليسير أن نتصور أي تقدم لنا طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه التربوية.

ومن أجل هذه الغاية عمد فأخرج القسيس دنلوب من مجاله الكهنوتي وأقامه مستشارا لمعارف مصر[1].

واستطاع دنلوب أن يحقق الأهداف التي تحدث عنها كرومر ، فقال: لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس والصحافة أن يترك في المسلمين - ولو عن غير وعي منهم- أثرا جعلهم يبدون لا دينيين إلى حد بعيد.

وأخيرا ، شمعون بيريز[2]- مهندس اتفاقات أوسلو التى فرّطت فى حقوق المسلمين في فلسطين- يطالب بإدراج موضوع التربية والتعليم فى كل مؤتمر يعالج قضية الشرق الأوسط وإن على الدول العربية إذا أرادت السلام مع إسرائيل أن تحذف من تاريخها وبرامجها كل شيء عن حطين وعن صلاح الدين الذي أصبح رمزا للإباء الإسلامي وقائدا لا يقبل الجور الذي يلحق بأمته.

وعلى النسق نفسه يسير إفراييم أنبار -مدير مركز بيجن - السادات للدراسات الاستراتيجية- ويطالب أوروبا بحملة تعليمية مركزة فى العالم العربي على مدار سنوات عدة. تجند من أجلها مؤسساتها الدينية والتعليمية والسياسية والإعلامية كافة لتعليم العرب وترهيف أحاسيسهم العرب بالنسبة إلى الهولوكست ، وأن هذا هو الدور الوحيد الأخلاقى المتاح لأوروبا للقيام به في المنطقة .

هكذا يريدون القضاء على ذاكرتنا، وعلى إسلامنا، وعلى الطلائع الحية في أمتنا، وعلى المنهج التربوي الذي أنشأ نهضتنا ، والذى لجأت إليه الأمة كلما أرادت النهوض . ونحن نستبعد أن يفلح هؤلاء في خططهم . ما دامت طليعة التغيير:

* معتصمة بدينها.

---

(١) أصول التربية والتعليم : د. علي عبد الواحد وافي .

(٢) الصحف العربية ٥/ ٢/ ٢٠٠٠م.

* واعية لدورها.

* ألزمت نفسها السلوك الإسلامي القويم، والدعوة الربانية الإنسانية الأخلاقية، تبشر بها وتضحي من أجلها بالوقت والمال والنفس.

* راجعت مسيرتها، وتدبرت عوامل الضعف فيها، وأخذت بأسباب العلم والوعي والتقدم والنماء، وواجهت المكر الغربي بمكر أقوى وصوت أوضح، فما عادت سياسة إغلاق الأبواب، وسدّ العيون والآذان، والسلبية في مواجهة التحديات تجدي نفعا.

* وأن تكون حركتها بناء، وبناؤها على أساس متين، ولن يكون ذلك إلا بالعودة الحقة إلى منهج التربية الإسلامية.. الذي أنشأ الأمة، والذي يستطيع في كل لحظة أن ينهض بها.

obeikandl.com